مجلة كلية الدعوة الإسلامية

مَجَلّةٌ - إسْلاَمِيَةٌ - ثَقَافِيَّةٌ - جَامِعَةٌ - مُحْكَمَةٌ

تَصْدُرُ سَنَوِيًّا عَنْ

كُلِّيَّةِ الدَّعْوَةِ الإِسْلاَمِيَّةِ

العددان الواحد والثلاثون والثاني والثلاثون

لسنة 1439 – 1440 الهجرية الموافق: 2017 – 2018 الميلادية

شاؤل، بولس الطرسوسي (الرسول) ومُخالفاتُه للمسيح عليه السلام

إعداد: أ. البهلول علي منصور
إشراف: د. محمد رزاق إدريس
الجامعة الوطنية الماليزية UKM

المُلخَّص:

عِلْم الأديان حَقْل خِصْب للدِّراسات بشقَّيه؛ تاريخ الأديان ومُقارنة الأديان، ولا زالت الكثير من قضاياه في حاجة إلى الدِّراسة والبحث، ومنها موضوع هذه الورقة، وهو مُخالفة بولس لما جاء منسوباً في أسفار كتاب المسيحيين المُقدَّس للمسيح عليه السَّلام[1]، وهذه القضيَّة تندرج تحت الشق الثاني من علم الأديان، وهي دراسة مكتبيَّة تقوم على النَّظر في النُّصوص المُقرَّرة لبعض عقائد وأحكام الشريعة المسيحيَّة، والتي جاءت منسوبة إلى بولس في رسائله الأربع عشرة، التي تُمثِّل ثُلث نُصوص أسفار العَهْد الجديد من كتابهم المُقدَّس، ثم مُقارنة تلك النُّصوص بما ورد منسوباً للمسيح عليه السَّلام في الموضوع، من خِلال توظيف المنهج الاستقرائي لتتبُّع النُّصوص موضوع الدِّراسة، لأخلص إلى تقرير مُخالفة أو موافقة بولس لتعاليم المسيح عليه السَّلام، وقد أثبتت الدِّراسة مُخالفة بولس للمسيح عليه السَّلام، وهو ما سيأتي بيانه في هذه الورقة.

(1) يعتقد المسيحيون أنَّ المسيح تَنَزُّلٌ للإله الابن في صُورة بشريَّة، وأنَّه أرسل اثني عشر رسولاً للتبشير بدعوته، منهم ستة تُنسب لهم أسفار من العَهْد الجديد، هُم: بطرس ويوحنا ومتى ويعقوب الصغير وأخوه يهوذا، ثم أُلحق بولس. إنجيل متى 10: 2-4، إنجيل مرقس 3: 13-19، إنجيل لوقا 6: 13-16.

الكَلِمات المَفاتيح: بولس الطرسوسي - المُخالفة - العقيدة المسيحيَّة - الشريعة المسيحيَّة - المسيح عليه السلام.

مُقدِّمة:

الحمد للَّه الواحد الأحد الفَرْد الصَّمد، الذي لم يكن له صاحبة ولا ولد، أحمده وأستعينه وأستهديه، وأُصلِّي وأُسلِّم على خاتم النبيِّين وسيِّد المُرسلين؛ محمد بن عبد الله المبعوث رحمةً للعالمين، وبعد فموضوع هذه الورقة البحثيَّة فَحْص مُخالفة بولس للمسيح عليه السَّلام، وذلك من خِلال دراسة مُقارنة لبعض نُصوص أسفار الكِتاب المُقدَّس عند المسيحيِّين ومُقارنتها بنُّصوص وردت في الرسائل المنسوبة إلى بولس الطرسوسي، بقصد كَشْف ذلك الأثر، استناداً إلى سؤال هو: هل كان بولس مُبشِّراً وناقلاً أميناً للدعوة النصرانيَّة، بِصِفته رسولاً من رُسل المسيحيَّة، بِحَسب اصطلاحهم الكَنَسي، أم تدخَّل وكَتَب بعض نُصوص أسفارها أو نَسْخها، أو اجْتَهد في تقرير بعض عقائد وأحكام الدِّيانة المسيحيَّة؟

مُشكلة البحث: بولس بِصِفته رسولاً من رُسل المسيح يلزم أنْ يكون ما بشر به وكتبه مُطابقًا مُطابقةً تامَّة للتعاليم التي نسبها القوم للمسيح عليه السَّلام، فالرسول مُبلِّغ أمين عن من أرسله، والإشكاليَّة التي يُناقشها البحث، خُروج بولس عن دوره الأساسي، وتوسّعه في الاجتهاد والتأويل، ومُصادمته للنُّصوص التي وردت منسوبة للإله الابن المُتجسِّد في شخص المسيح عليه السَّلام حَسب اعتقاد القوم، ومُخالفة نُصوص صريحة منسوبة إلى مُعلِّمه وربِّه، ما ترتَّب عنه استحداث عقائد وأحكام مُستجدَّة في النصرانيَّة، وتحويله لها من دعوة تصحيحيَّة للدِّيانة اليهوديَّة إلى ديانة عالميَّة، بشَّر بها أُمم الإمبراطوريَّة الرومانيَّة في عصره.

أسئلة البحث: السؤال المِحْوري في هذه الدِّراسة هل نهض بولس بمهمَّة تبليغ النصرانيَّة كما علَّم بها المسيح، وكما أخذها عنه حواريوه وعاشوها

معه؟ وما بشَّر به بولس هل يُوافق أو يُخالف تعاليم النصرانيَّة الأُولى؟ وهل المسيحيَّة هي نفسها النصرانيَّة أم أنَّ الأمر غير ذلك؟

أهدف البحث:

1 - كَشْف حقيقة الدَّور الذي قام به بولس الطرسوسي (الرسول).

2 - بيان مُخالفة بولس لتعاليم المسيح عليه السَّلام.

3 - التدليل على اختلاف مسيحيَّة بولس عن نصرانيَّة عيسى عليه السَّلام.

مُصطلحات البحث:

رسل المسيحيَّة، النصرانيَّة، المسيحيَّة، وأسفار الدِّيانة المسيحيَّة.

النصرانيَّة لغةً: أصلها اسم لِدِين النصارى، وكلمة نَصارى مُشتقَّة من قول أتباع عيسى عليه السَّلام: نحن أنصار اللَّه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنۡهُمُ ٱلۡكُفۡرَ قَالَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشۡهَدۡ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾[1]، أو لنسبتهم لعيسى، وهو من بَلْدة النَّاصرة أو نصران من قُرى الجليل بفلسطين، والنَّصارى جمع نصران ونصرانة كالندامى جمع ندمان وندمانة ولم يستعمل نصران إلا بياء النِّسبة[2].

النصرانيَّة في الاصطلاح: الدِّين المُنزل على عيسى عليه السَّلام، وكتابها الإنجيل، نِسبة إلى بلدة النَّاصرة بفلسطين، التي ولد بها عيسى، وسمَّى أتباعه من بني إسرائيل نَصَارى لأنَّهم نصروه[3]، «لكي يتم ما قيل في الأنبياء إنَّه سيُدعى [عيسى] ناصريّاً»[4].

(1) سورة آل عمران: الآية 52.

(2) الرازي، **مختار القاموس**، مادة نصر.

(3) صالح، محمد عثمان، **النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير**، (المدينة المنورة، السعودية: مكتبة ابن القيم للنشر والتوزيع، ط1، 1410هـ/ 1989م)، ص11.

(4) إنجيل متى 23: 2.

المسيحيَّة لغةً: المسيحيَّة: «اسماً يدل على الدِّين الذي جاء به عيسى عليه السَّلام، ترجع في نسبتها إلى المسيح. والمسيح كما في المعاجم اللُّغويَّة فعيل بمعنى مفعول يعني ممسوح بدهن البركة»[1]، والكلمة أصلها سرياني أو عِبري «مشيحا».

تعريف المسيحيَّة في الاصطلاح: ديانة تَتَمحْور حَوْل الكتاب المُقدَّس، ويسوع المسيح، بِصِفته ابن اللَّه المُتجسِّد[2]، وأصل التسمية وصف استحدثه الوثنيون لأتباع عيسى عليه السَّلام من بَعْدِه[3].

تعريف رسائل بولس: لم أجد في المراجع التي اطَّلعت عليها تعريفاً لرسائل بولس، وعلى هذا سأصوغ لها تعريفاً إجرائيّاً يُساعد على تحديد مفهومها، فرسائل بولس هي: رسائل مُدرجة في القسم الثاني من العهد الجديد، وهي رسائل ينسبها القوم إلى بولس الطرسوسي، وهي تُعد عندهم من أسفار كتابهم، ومجموعها أربع عشرة رسالة[4]، تضمَّنت العقيدة والأحكام والوعظ والتوجيه لمَن وجِّهت إليهم.

الدِّراسات السابقة:

تبيَّن للباحث من خِلال الاطِّلاع على الدِّراسات السابقة في الموضوع أنَّها يُمكن تقسيمها إلى قِسمين، الأول: دراسة عامَّة موضوعها بدايات المسيحيَّة، للفرنسي المُختصّ في تاريخ المسيحية وأُستاذها ورئيس قِسم تاريخ الأديان في جامعة باريس شارل جنيبير، وهو مسيحي كاثوليكي، وعُنوان الدِّراسة: «المسيحيَّة نشأتها وتطوُّرها»، صدر الكتاب باللُّغة الفرنسيَّة، وترجمه إلى العربيَّة الشيخ الدكتور المرحوم عبد الحليم محمود، وهو شيخ أسبق

(1) صالح، **النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير**، ص23.
(2) المرجع نفسه، ص24.
(3) سفر أعمال الرسل 11: 25-26.
(4) وهي: 1- إلى أهل رومية. 2- الأُولى لأهل كورنثوس. 3- الثانية لأهل كورنثوس. 4- إلى أهل غلاطية. 5- إلى أهل أفسس. 6- إلى أهل فيلبي. 7- إلى أهل كولوسي.

للجامع الأزهر، جاءت الدراسة في أحد عشر فصلاً، خصّ المؤلف بولس منها بثلاثة فُصول، وهو يطرح أنَّ بولس عمل في بيئة غلبت عليها التيَّارات التأليفيَّة بين الأديان، وسادها الفكر الهيليني، وقد قاد رجال كنيسة أنطاكيا ومنهم بولس التحوُّل بالنصرانيَّة من ديانة خاصَّة باليهود إلى ديانة عامَّة تُبشِّر بالخلاص لكُلّ النَّاس.

القسم الثاني: دراستان اهتمتا ببولس بِصِفته شخصيَّة مِحوريَّة نهضت بدور أساسي، في كتابة النُّصوص التي بُنيت عليها المسيحيَّة من عَصْره حتى عصرنا الحاضر، أولاهما: دراسة للقس فهيم عزيز بعُنوان: «الفكر اللَّاهوتي في رسائل بولس»، صَدَرت الدِّراسة في سَبْعة فُصول، وجاءت في أزيد من أربعمائة صَفْحة، درس فيها الكاتب الفكر اللَّاهوتي لبولس حَسَب الموضوعات، كالخطيئة والناموس، يرى أنَّ بولس أحد مؤسِّسي اللَّاهوت المسيحي، والشارحين له إلى حدِّ الإسهاب. وثانيتهما: ما كتبه محمد أحمد الملكاوي في دراسة له بعُنوان: «اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانيَّة الوثنيَّة»، والدارس أُستاذ بقسم الدِّراسات الإسلاميَّة بجامعة الملك سُعود، جاءت الدِّراسة في ثلاثة فُصول وخاتمة تَضُمّ خُلاصة البحث ونتائجه، وقد خلص إلى أنَّ المسيح حَسَب رسائل بولس غير المسيح حَسَب الأناجيل، فبولس برأيه هو من قَرَّر أُلوهية المسيح وبنوَّته للَّه تعالى، والعقائد المُتعلِّقة بالمسيح بِصِفته الإله الابن، والعقيدة التي يُقرِّرها بولس هي العقيدة التي يدين بها المسيحيون اليوم، واستبعد رسالة بولس إلى العبرانيين، لعدم ثُبوت صِحَّة نسبتها إليه.

أخلص ممَّا تقدَّم عَرْضه في الدِّراسات السابقة إلى أنَّها تركت للباحث مُعالجة مُخالفات بولس للمسيح عليه السَّلام في العقيدة والأحكام، فالدِّراسة الأُولى هي دراسة تاريخيَّة عامَّة لم تتطرَّق إلى تفصيل ما قرَّره بولس، والدراستان الأُخريان اقتصرتا على الجانب الاعتقادي فَحَسب، والباحث يتوجَّه جُهده إلى بيان ما استحدثه بولس في الدِّيانة النصرانيَّة، التي أصبحت بفعله تُعرف بالمسيحيَّة.

أهمِّيَّة البحث:

كشف حقيقة دور بولس الطرسوسي بصفته رسولاً من رُسل المسيحيَّة حَسب اعتقاد القوم، يوضح جانباً مُهمّاً من تصرُّف القوم في أُصول ديانتهم في مراحل نشأتها الأُولى، ويُسهم في إظهار وجوه تلك التدخُّلات، وأثرها على الدِّيانة المسيحيَّة الحاضرة، وَمَدَى تواتر نصّها الدِّيني وحُجِّيته.

منهج البحث وأدواته وحُدوده:

البحث هو دراسة مكتبيَّة تقوم على تتبُّع المادَّة العِلْميَّة لموضوع البحث في مصادرها، وأوَّلها نُصوص الكِتاب المُقدَّس عند المسيحيين، ثم النظر فيها ومُقارنة ما ورد منسوباً إلى بولس بما وَرَدَ منسوباً إلى المسيح عليه السَّلام، والذي يحوي تقريراً للعقيدة المسيحيَّة أو أحكامها الشرعيَّة، من خِلال توظيف المنهج الاستقرائي لتتبُّع نُصوصها، ثم توظيف المنهج المُقارن لمُقارنة تلك النُّصوص، وحُدود البحث المسائل التي خالف فيها بولس المسيح عليه السَّلام، وهذه حُدوده الموضوعيَّة، وحدُّه الزمن الذي كُتبت فيه رسائل بولس؛ أي: العَقْد الأول من النِّصف الثاني للقرن الميلادي الأوَّل.

وبهذا أخلص إلى تقرير أثر بولس في الدِّيانة المسيحيَّة، ومُخالفته لصاحب الدَّعوة على التفصيل، وهذا مَقْصد الدِّراسة وهدف الباحث من هذا الجُهد، الذي أرجو اللَّه الإعانة والتوفيق والسَّداد فيه، وبيان هذا الأثر سيكون النتيجة التي تَسْعى هذه الدِّراسة إلى تحقيقها إنْ شاء اللَّه، وفق رؤية موضوعيَّة تلتزم الصِّدق وتنشد الحقّ وتهدف إلى كشف الحقيقة دون تحيُّز أو تعصُّب، فمن المعلوم أنَّ الحِياد والموضوعيَّة من مُتطلّبات البحث العِلْمي، وهي في علم الأديان أحقّ وأوجب، لعظم موضوعها وسموِّه، وعظيم أثره على فكر وحياة الأفراد والجَماعات، في الماضي والحاضر والمُستقبل.

التعريف ببولس:

يُعدّ هذا الرجل الشخصيَّة المِحوريَّة، التي أرست الكثير من المفاهيم ومن ثَمَّ العَقَائد والأحكام المسيحيَّة السائدة في هذا العَصْر، بدأت مع انخراطه في التبشير بالمسيحيَّة، ولهذا سيتمّ مُعالجة القضايا المُتعلِّقة بهذه الشخصيَّة، والدور الذي قامت به تفصيلاً، بقصد استجلاء وبيان الحقائق المُتعلِّقة بها وبدورها ما أمكن ذلك، مُستعيناً في هذا بسفر أعمال الرُّسل والرسائل المنسوبة له، والمصادر المُتاحة التي درست شخصيَّة بولس (شاول)، وسيتم البحث على فرض صِحَّة نِسبة الرسائل له، ليس لرجحانها، وإنَّما من باب إلزام القوم بمُقتضى دعواهم.

وتشغل الأحداث المُتعلِّقة بحياة بولس حيِّزاً كبيراً من سفر أعمال الرُّسل، يُعرِّف فيها بولس بنفسه؛ إذ يقول: «أنا يهودي، ولدت في طرسوس[1]، كيليكية ولكن رَبَيتُ في هذه المدينة، (يقصد أورشليم)»[2]، ولد لأبوين يهوديين فريسيين بمدينة طرسوس الرومانيَّة -آنذاك-، في حوالى السَّنة العاشرة للميلاد،[3]، لذلك كان الرجل في بداية حياته من أشدِّ المُتعصِّبين ضد نَصَارى عَصْره، «وأمَّا شاول فكان لم يزل ينفث تهدداً وقتلاً على تلاميذ الرب، فتقدَّم إلى رئيس الكهنة وطَلَب منه رسائل إلى دمشق، إلى الجماعات، حتَّى إذا وجد أُناساً من الطريق، رجالاً أو نِساءً، يسوقهم موثقين إلى أورشليم»[4]، وكان الرجل يحمل الجنسيَّة الرومانيَّة،[5]، واسمه قبل أن يتنصَّر (شَاوُل)، وهو اسم

(1) طرسوس: عاصمة كيليكية في شرقي آسيا الصُّغرى، وهي حاليّاً مدينة تركية، وتُدعى إلى اليوم طرسوس. عبد الملك، بطرس وجون طمسن وإبراهيم مطر، **قاموس الكتاب المقدس**، (القاهرة، مصر: مكتبة العائلة، ط14)، ص575-576.

(2) الإصحاح 3: 22.

(3) ديورانت، وول، **قصة الحضارة**، ت: محمد بدران، (القاهرة، مصر: الإدارة الثقافيَّة جامعة الدول العربيَّة، 1964م)، ج11، ص249.

(4) سفر أعمال الرسل 9: 1، 2. سفر أعمال الرسل 8: 1-3.

(5) سفر أعمال الرسل 16: 37-38، و22: 25-29، والإمام محمد أبو زهرة يشك في كونه رومانيّاً. أبو زهرة، محمد، **دراسات في الأديان، محاضرات في النصرانية**، (القاهرة، مصر: دار الفكر العربي، ط3، 1381هـ/ 1961م)، ص70.

يهودي عَبراني بمعنى مطلوب، ثم غلب على شَخْصه اسمه الروماني (بولس) أي: الصَّغير[1].

ويُلاحظ أنَّ كاتب سِفْر أعمال الرُّسل يذكره باسم (شاول) حتى الإصحاح الثالث عشر، وقد ورد فيه: «أمَّا شاول، واسمه -أيضاً- بولس...»[2]، وابتداءً من هذا النَّص يُصبح الاسم المُستخدم لـ(شاول) في سفر الأعمال (بولس)، ولعلَّ عِلَّة هذا التغيير توجه بولس لغير اليهود ودعوته إياهم إلى المسيحيَّة، فرأى من الأنسب تعريف نفسه لهم باسمه الروماني، أو لحماية نفسه من تضييق السُّلطات على مَن هُم على شاكلته، أو للأمرين معاً، هذا على فرض أمانة الكاتب وصِدقه، وإلا كان للأمر وجوه أُخرى.

وقد كانت طرسوس مدينة تجاريَّة هامَّة، ومُلتقى لطُرق تجاريَّة بين حواضر الشَّرق والغرب -آنذاك-، كما كانت من المُدن النَّشطة فكريّاً، وازدهرت فيها المدارس اليونانيَّة، التي يُدرّس فيها عُلوم ذلك العصر ومنها الدِّراسات الفلسفيَّة، وكان أساتذة هذه الدِّراسات ينتمون إلى المذهب الرواقي[3]، كان المُنتمون لهذا المذهب قد نشطوا في دعوة عُموم الناس إلى مذهبهم الفلسفي، ولعلَّ هذا يفسر تأثر بولس بمبادئ الفلسفة الرواقيَّة، والأساليب الخطابيَّة لدى المفكِّرين اليونان[4].

ويظهر أنَّ بولس شخصيَّة فريدة مُثيرة للعَجَب[5]، قد نشأ في القدس،

(1) عبد الملك، **قاموس الكتاب المقدس**، ص196، سفر أعمال الرسل 9: 13.

(2) الفقرة: 9.

(3) الرواقية «Stoicism»: مذهب فلسفي ازدهر في القرن الثالث قبل الميلاد حتى القرن الثاني الميلادي، بدأت في اليونان وامتدَّت إلى روما، والرواقيون يعتقدون أنَّ الله خالق كُل الأشياء، والمُنسِّق بينها، والرواقي أقرب إلى المواطن العالمي، يريد أن يجعل من المُجتمع صُورة من الكون في نظامه وتعقّله، وترجع التسمية إلى مؤسِّسها زينون الفيلسوف كان يعلِّم تلاميذه في رواق. الحنفي، عبد المنعم، **موسوعة الفلاسفة والفلسفة**، (القاهرة، مصر: مكتبة مدبولي)، ج1، ص661-663.

(4) جينيبير، شارل، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ت: عبد الحليم محمود، (القاهرة، مصر: دار المعارف، ط5، 2008م)، ص88-89.

(5) أبو زهرة، **دراسات في الأديان، محاضرات في النصرانية**، ص73.

حيث تنشط مدرسة «جماليل»[1]، الدِّينيَّة اليهوديَّة، وتأثَّر بالفلسفة الرواقيَّة السائدة في عَصْره، وأكمل دراسته بأنطاكية، وانقلب من يهودي فريسي[2]، مُتعصِّب، حارب النصرانيَّة بِكُل ما أُوتي من قُوَّة، إلى رسول من رُسُل المسيحيَّة، لتُصبح رسائله أوَّل الأسفار المُقدسَّة، التي عُرفت فيما بعد بالعَهْد الجديد، ويُعدّ الرجل واضع اللَّاهوت المسيحي[3].

وقد نشط بصُورة لافتة في التبشير بمسيحيَّة تنبع من رؤيته وفهمه لسيرة المسيح عليه السَّلام، والتقاليد والطُّقوس الكَنسيَّة بالقرن الأوَّل الميلادي[4]، وسيرة الرجل تُثير العديد من عَلَامات الاستفهام، مِثل: ما سَبَب الانقلاب المُفاجئ من يهودي فريسي مُتعصِّب مُحارب للنصرانيَّة إلى رسول من رسلها دون إرهاصات تسوغ ذلك؟! وما علَّة تقديم رسائل بولس على غيرها من أسفار العَهْد الجديد؟ يُضاف إلى ذلك قِلَّة المعلومات التفصيليَّة التي تذكرها مصادر التُّراث الكَنَسي المُتاحة حَوْل هذه الشخصيَّة والقضايا المُتعلِّقة بها، ولعل مرجع ذلك الاضطهادات التي تعرَّض لها القوم، أو أنَّ إخفاء هذه المعلومات قد تمَّ بِصُورة مقصودة لأنَّ إظهارها لا يخدم التبشير الكَنَسي.

بناءً على ما تقدَّم يكون بولس هو المُنشئ للمسيحيَّة، وعلى أقلِّ تقدير يكون أحد مُنشئيها؛ وذلك لأنَّ رسائله كانت حَجَر الزَّاوية للدِّيانة المسيحيَّة،

---

(1) جماليل أوغمالائيل حاخام يهودي فريسي، وأحد أعضاء السنهدريم، ولاهوتي يهودي معروف في القرن الأوَّل الميلادي، كان مُتسامحاً مع المُبشِّرين المسيحيين، توفِّي في مُنتصف القرن الأوَّل، يذكر التلمود أنَّه من ذريَّة الرابي هليل. عبد الملك، بطرس وجون طمسن وإبراهيم، **قاموس الكتاب المقدس**، ص662، ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص250.

(2) سفر أعمال الرسل 7: 23.

(3) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص249.

(4) التقليد (tradition): انتقال معارف دينيَّة من قرن إلى قرن غير مُدوَّنة في الكتب المُقدَّسة. أو هي انتقال العادات أو المُعتقدات من جيل إلى جيل. لاغريه، جاكلين، **الدين الطبيعي**، ت: منصور القاضي، (المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر: ط1، 1413هـ/ 1993م)، ص147، البعلبكي، منير، **المورد قاموس إنجليزي- عربي** (بيروت، لبنان: دار العلم للملايين، ط39، 2005م)، ص982.

لتأتي الأناجيل الأربعة مُكمِّلة لها، وَفْق الأفكار والتقاليد الكَنَسيَّة السائدة، ليُضَم إلى هذا التُّراث التراكُمي باقي الرسائل، ولعلَّ ممَّا يؤيد هذا ثلاثة أُمور، الأوَّل: اعتماد رجال الكنيسة التدريجي لأسفار العهد الجديد ما جعل بعض رسائل بولس تتبوأ محل الصَّدارة فيها. الثاني: تقدُّم زمن كتابة رسائل بولس على الأناجيل الأربعة؛ فقد كُتبت فيما بين 50-61م، وكُتب إنجيل مرقس وهو أقدم الأناجيل بعد رفع المسيح عليه السَّلام بحوالى 35 سنة؛ أي: سنة 68م[1]، والسِّياق المنطقي يوجب تقدُّم الأناجيل، الثالث: الدور النَّشِط الذي قام به بولس للتبشير بالمسيحيَّة في عَصْره.

ومن الأُمور المثيرة للاستغراب، القَبول (الساذج) -الذي تذكره بعض المصادر- لادِّعاءات بولس من نَصَارى ذلك العَصْر وأوَّلهم الرُّسل والحَواريون، ومنها ادِّعاء بولس ظُهور المسيح له وهو في طريقه إلى دمشق[2]، ومعلوم ما ترتَّب على هذا القَبول من آثار؛ أوَّلها: تقمُّص بولس دور الرسول المُبشِّر بالمسيحيَّة. وثانيها: شُروعه في تأليف الأسفار الأُولى لما عُرف فيما بعد بالعَهْد الجديد بِدَعْوى أنَّه جاءه إعلان من يسوع المسيح، «وأُعلمكم، أيها الإخوة، أنَّ الإنجيل الذي بشرتكم به ليس إنجيلاً بشريّاً. ولا تلقَّنته، بل جاءني بإعلان من يسوع المسيح»[3].

يتضمَّن النَّص المُتقدِّم دعوى لبولس، بل ادِّعاء مَفاده أنَّ المسيح عليه السَّلام أعلنه بإنجيل ليتولَّى مُهمَّة التبشير به، والنَّظر في هذا الادِّعاء يظهر

(1) عبد الملك، بطرس وجون طمسن وإبراهيم، **قاموس الكتاب المقدس**، ص199، ديورانت، **قاموس الكتاب المقدس**، ج11، ص202، عبد الوهاب، أحمد، **المسيح في مصادر العقائد المسيحية** (القاهرة، مصر: مكتبة وهبة، ط2، 1408هـ/ 1988م)، ص30، جرانت، فريدرك، الأناجيل أصلها وتطورها، 20-21. نقلاً عن: الشرقاوي، عبد الله، **بحوث في مقارنة الأديان**، (القاهرة، مصر: دار الفكر العربي، ط3، 1431هـ/ 2010م)، ص248. ويجدر التنويه بأن مسألة تواريخ كتابة أسفار العهد الجديد مسألة خلافية بين الباحثين، وإن رجَّح بعضهم بعضها.

(2) سفر أعمال الرسل 9: 3-19.

(3) رسالة بولس إلى أهل غلاطية 1: 11-12.

مَدَى تهافته، فهو لا يعدو كَوْنه كلاماً مُرسلاً لا دليل عليه، لا يُسَلّمُ له به، ويكفي الاعتراض في هذا، ويلزم مَن يقبل قوله إيراد الدَّليل، كما أنَّ النَّص يُثير عدداً من التساؤلات، أوَّلها: أنَّه لم يُبيّن المُدَّعي الكيفيَّة التي تسلّم بها إنجيله؛ أَتَسلّمه مُشافهةً أم مُناولةً، أم في صُورة رؤيا مناميَّة، أم بإلهام من الرُّوح القُدس كما يَدَّعي القَوم؟ ولعلَّ سُكوته عن بيان الكيفيَّة مرجعه عجزه عن الإتيان بالدَّليل عليها، وينسب القوم نُصوص أسفارهم إلى الإلهام، وهذه دعوى لا دليل عليها، وثانيها: أنَّه لم يفصح عن الصُّورة التي تمَّ بها (الإعلان)؛ أي: أَأُعلن بإنجيله المزعوم دَفعةً واحدةً، أو تعدَّدت حالات الإعلان؟ وثالثها: ما عَلاقة هذا الإنجيل بإنجيل المسيح عليه السَّلام[1]، والأناجيل الأربعة؟ وقد ذكر بولس إنجيل المسيح عليه السَّلام في رسائله، إلَّا أنَّه لم يفصح عن العَلاقة بين الإنجيلين، فقد وَرَدَ في رسالته لأهل كورنثوس[2]، في معرض حديثه عن تَحمُّله مؤونة التبشير -قوله: «بل نتحمَّل كُلّ شيء، مَخافة أنْ نضع أي عائق أمام إنجيل المسيح!»[3].

وقد نَحَا الرجل بالنصرانيَّة مَنْحى مُخالفاً لما دعا إليه المسيح عليه السَّلام، وما كان عليه النَّصارى الذين آمنوا بدعوته، وأخذوا النصرانيَّة عنه، والذين اختلفوا مع بولس عندما تبيَّنوا استحداثه في النصرانيَّة ما لا أصل له فيها، وذلك بتوسُّعه في الاجتهاد والتأويل، ليتوصَّل إلى تقرير عقائد وأحكام خالف بها النصرانيَّة السَّائدة في عَصْره، منها رفضه لناموس موسى عليه السَّلام، ولعل سبب هذا الرفض يرجع إلى اعتقاده بأنَّ مجيء المسيح يُعدّ

(1) إنجيل متى 4: 23، إنجيل مرقس 1: 14، رسالة بولس إلى أهل رومية 1: 9، رسالة بولس لأهل كورنثوس 9: 12، 16-18.

(2) كورنثوس korinthos: مدينة قديمة ومرفأ في جَنوب اليونان، تقع على بعد 40 ميلاً غربي أثينا. اليسوعي، لويس معلوف، **المنجد في اللغة والأعلام**، (بيروت، لبنان: دار المشرق، ط22، 1968م)، ص598.
عبد الملك، **قاموس الكتاب المقدس**، ص796.

(3) الإصحاح 9: 12.

إعلاناً لعهد جديد أُبرم بين اللَّه والمؤمنين من بني الإنسان جميعاً، وهذا في رأيه ينسخ العهد القديم[1]، ومنه الناموس: أي؛ توراة موسى عليه السَّلام، وهو عهد أُبرم بين اللَّه وبني إسرائيل، ومعلوم أنَّ هذا يتعارض مع نُصوص منسوبة إلى المسيح عليه السَّلام في العهد الجديد، صريحة في نفي النسخ لناموس موسى عليه السَّلام.

ورد في إنجيل متى: «لا تظنُّوا أنِّي جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأُكمل. فالحقّ أقول لكم إلى أنْ تزول السَّماء والأرض لا يزول حَرْف واحد أو نقطة واحدة من النَّاموس حتى يكون الكُل»[2]، وجاء في إنجيل لوقا: «ولكن زوال السَّماء والأرض أيسر من أن تسقط نقطة واحدة من الناموس»[3]، ويُمكن فهم قَبول الحِواريين لبولس في البِداية، لموقفهم الضعيف بِسبب تعرُّضهم للاضطهاد بتحريض من كَهَنة اليهود وعامَّتهم، الذين اعتبروهم مبتدعين ومارقين من ناموس موسى عليه السَّلام، وتحالف السُّلطات السياسيَّة مع اليهود ضدهم؛ إذ اعتبرتهم تلك السُّلطات مُتقاعسين عن أداء الخِدمة العامَّة في مؤسسات الدَّولة العَسْكريَّة والمدنيَّة، واستنكافهم عن أداء بعض الطقوس التي تتضمَّن تأليه الإمبراطور الرُّوماني الحاكم، ما أثار عَلامات الاستفهام حَوْل ولائهم للدولة، ونظرت إليهم بعين الريبة لمُمارسة أنشطتهم دون إذنها[4]، ففي هذه الظُّروف قَبِل الحواريون بولس، وعندما ظَهَر لهم ابتداعه في النَّصرانيَّة اختلفوا معه وقاوموه، ولعلّ أوَّلهم في هذا الحَواريان برنابا[5]، ويعقوب (ويسمّونه أخ الرب)، يقصدون أخ المسيح عليه السَّلام[6].

(1) رسالته إلى أهل غلاطية 21: 2، عبد الوهاب، **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**، ص192-193، 279، جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص133.
(2) الإصحاح 5: 17-18.
(3) الإصحاح 16: 17.
(4) جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص210 وما بعدها.
(5) سفر أعمال الرسل 15: 36-40.
(6) رسالة يعقوب 2: 21-24.

ومع هذا سادت المسيحيَّة التي ابتدعها بولس، واضمحلَّت النصرانيَّة التي دعا إليها المسيح وآمن بها النَّصارى الأوائل وبشَّروا بها، وأسباب هذه السِّيادة تتمثَّل في الآتي:

أ - أنَّ المسيحيَّة التي يُمكن تسميتها (بالبولسية)، كانت أقرب إلى الأديان الوثنية السائدة بين شعوب الحَضَارات التي انتشرت بها المسيحية آنذاك، في وقت جاءت فيه النصرانيَّة لدفع تلك الأديان الباطلة وتصحيح اليهوديَّة، التي لَحقها تحريف الكهنة والأحبار.

ب - التحالف بين السُّلطات الحاكمة ورجال الدِّين للأديان السائدة في ذلك العَصْر، ومُحاربتهم لأي دعوى قد تمس سلطان الدولة، أو تُهدِّد السِّلم الاجتماعي في أقاليمها، وتتحدَّى الأنساق الفكرية السائدة، وفي هذا الإطار نُظر إلى دعوة المسيح عليه السَّلام، وإلى الحياة التي يعيشها النَّصارى انتظاراً لعَوْدته[1].

ج - رَفض اليهود للنصرانيَّة؛ لأنَّهم رأوا فيها مُروقاً من الدِّين الذي أَلِفوه، وتمرُّداً على شريعة موسى عليه السَّلام المعروفة لديهم، ولعلَّ مَرَدّ تشدُّد كهنة اليهود في مُحاربتها، وتحريضهم العامَّة على أتباعها، كشف المسيح لتقصير أولئك الكَهَنة، واستخدامهم لرياستهم الدِّينيَّة لتحقيق مَكاسب مادِّية وأدبيَّة، ما أدَّى إلى تفريطهم في الدِّين، مع إظهار التمسُّك الحَرْفي به، وإهمال حقائق الدِّيانة ومقاصدها الإيمانيَّة.

د - استنكاف الأُمم، شُعوباً ورجال دين ومُفكِّرين عن اتِّباع دعوات أنبياء بني إسرائيل، الذين كانوا يرونهم أحطّ منهم حَضاريّاً، ولعلَّ هذا يُفسِّر نجاح بولس في دعواه؛ إذ عمل على ما يُمكن تسميته إعادة إنتاج النصرانيَّة بما يتَّفق والنَّسق الفكري الهيليني (Hellenistic)[2]،

(1) جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص210.

(2) الفكر الإغريقي والعادات والأساليب الإغريقيَّة القديمة. البعلبكي، **المورد قاموس إنجليزي- عربي**، ص421.

السائد -آنذاك-. بما يَتَمشَّى مع الثقافات السَّائدة في عَصْره؛ أي: أنَّ الرجل بدل أنْ يُصحِّح الفكر الدِّيني الرائج في عَصْره، اختار الطريق الأسهل؛ وهو التعديل بل الانحراف بالنصرانيَّة لكي تتوافق مع مقولات ذلك الفكر والعقائد الوثنية، ولعلّ ما تقدَّم يُبرِّر وصف المسيحيَّة بالبدعة الوثنيَّة.

وفي هذا السِّياق يوصف بولس بأنَّه «هو ناشر المسيحية ومُفسِّرها، وتأويلاته الواسعة هي التي أخذت بها الكنيسة وقامت عليها المسيحيَّة بوصفها عقيدة، وهي التفسيرات والتأويلات التي اعتبرها الكثيرون من المُصلحين المسيحيين من بعد أُصولاً وثنيَّة للمسيحيَّة، وأنكروها عليها»[1].

ما تقدَّم مُثير للتساؤل بل العَجَب، فكيف استطاع رجل واحد أنْ يفرض نفسه على أتباع الدِّيانة النصرانيَّة؟! وأوَّلهم الحَواريون، الذين كانوا على استعداد لبذل أنفسهم حِمايةً لعقيدتهم من التبديل، وهُم قد أخذوها بيّنةً نقيَّةً عن رسول اللَّه المسيح عليه السلام، بل عاشوها معه، فلا يتصوَّر أنْ يقبلوا المسّ بأُصولها، وإلَّا لكان استشهادهم في سبيلها ضرباً من العبث، ومثلهم لا يتصوَّر منه ذلك، ولا يُظن بأتباع نبي من أنبياء اللَّه وخاصَّته إلَّا التمسُّك بما جاء به من عند اللَّه تعالى.

واستمر صُمود الفئة المؤمنة على ما تركهم عليه المسيح عليه السَّلام، حتى بعد إعدام بولس، وهذا ما سجَّله بعض «الكتَّاب اللَّاهوتيين [الذين] احتفظوا باسم «الناصريين» لمجموعة من أتباع عيسى من ذوي الأصل اليهودي كانوا مُقيمين في سوريا في القرن الرابع الميلادي وكانوا على تمسُّكهم بالقوانين اليهوديَّة وممَّا يدل على تميُّز هذه المجموعة أنَّها كانت مُتمسِّكة بنُسخة من الإنجيل في اللِّسان الآرامي يعرف عندهم «بالإنجيل العبري» ويُسمَّى كذلك بالإنجيل الناصري»[2].

(1) الحنفي، **موسوعة الفلسفة والفلاسفة**، ج1، ص343.

(2) **قاموس أكسفورد للكنائس المسيحية**، ص957. نقلاً عن: صالح، **النصرانية والتنصير أم المسيحية والتبشير**، ص26.

ويُمكن إرجاع أمر الانحراف بالنصرانيَّة عن أُصولها إلى التحالف (الاستراتيجي)[1]، البعيد المَدَى بين كَهَنة اليهود ورجال السُّلطات الرومانيَّة الحاكمة في ذلك العَصْر، ومن ورائهم أرباب مذاهب وضعيَّة تعادي أي دعوة تتعارض مع وثنيَّتها، فالجميع ضد النصرانيَّة التي جاء بها المسيح عليه السَّلام، وبتطاول الزمن وفناء النَّصارى الأوَّلين أو ترهيبهم وكبتهم، تمكَّن رجال الكنيسة وأوَّلهم بولس من إعادة صِياغة النصرانيَّة وَفْق تأويلات جديدة وأُصول مُستحدثة، لتتماشى مع الفكر السائد في ذلك العَصْر، ولعلَّ الهَدَف اجتذاب الوثنيين إليها، أو بقصد التلبيس على النَّصارى في دينهم، أو أنَّ القوم قد فُتنوا في دينهم، أو لعلَّ بولس ومن سار على شاكلته رأى ضرورة إخراج المسيحيَّة من إطارها اليهودي الضيِّق إلى أُفق عالمي أرحب، وإنْ أدى ذلك إلى التحوير والتبديل في أُصولها لتحقيق هذا المَقْصد؛ لأنَّه رأى أنّ بقاءه ضِمن الإطار الإسرائيلي سيجعلها تتلاشى كما تلاشت مذاهب يهوديَّة غيرها، ولن تعدو كَوْنها بدعة يهوديَّة في طريقها إلى الاضمحلال[2]، أو أنَّ هؤلاء القوم مُبتدعة وأوَّلهم بولس، أعجبتهم الرئاسة باسم الدِّين، فاستمرأوا الابتداع فيه لإرضاء الخاصَّة والعامَّة، ولتحقيق مآربهم الشخصيَّة، وإلَّا فلا تفسير منطقيّاً لجُرأتهم الزائدة على أُصول دينهم، واستخفافهم بالأنبياء والرُّسل.

«وما كان أحرى أنْ تُنسب المسيحية إلى بولس بدلاً من المسيح؛ لأنَّ الموجود منها حاليّاً هو رؤيا[3]، بولس للمسيحيَّة، فهو الذي نقل فكرة الحُلول، وأعاد عِبادة الأُم الكُبرى، وأدخل التناول الطوطمي من حيث يتناول المؤمن لحم ودم المُخلِّص فيتَّحد به، مُكرراً محتوى العيد الطوطمي نفسه الذي كان رائجاً

(1) الاستراتيجية: «Strategy» الخطط المُحدَّدة مُسبقاً لتحقيق هدف مُعيَّن على المَدَى البعيد في ضوء الإمكانيَّات المُتاحة أو التي يُمكن الحُصول عليها. شبكة المعلومات الدوليَّة: ويكيبيديا الموسوعة الحرَّة، استراتيجيَّة.

(2) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص255.

(3) لعل المقصود رُؤى أو رؤية، وهذا ما يتَّفق مع سِياق النَّص.

لدى الكثير من الشُّعوب، وبذلك أصبحت المسيحيَّة في النواحي الرئيسة منها عِبارة عن نُكوص ثقافي بالمُقارنة بالدِّيانة اليهوديَّة التي سبقتها»[1].

يظهر تأثُّر الدِّيانة المسيحيَّة جليّاً بالفكر السائد زمن نشأتها، ومنه الفلسفة الأفلوطينية والرواقية، والغنوصية، وبعض الطقوس المُتوارثة لدى الشُّعوب التي انتشرت بها المسيحيَّة، ومن المُلاحظ أنَّ تأثُّر بني إسرائيل بفكر الشُّعوب التي عايشتهم وجاورتهم، وسادتهم في الغالب، أوسع من أنْ يُحصر أثره في الدِّيانة المسيحيَّة، وانعكاس الفكر الدِّيني للحَضَارات المُعاصرة لليهوديَّة والنصرانيَّة على فكر هاتين الدِّيانتين ظاهر لكُلّ مُطّلع، بل هذا الأثر تعمّق حتى طال أُصولهما.

أهم مُخالفات بولس للمسيح عليه السَّلام:

يجدر في البَدء التنويه بأنَّ المسيحيَّة السَّائدة والتي كانت بداية نشأتها -حَسب ما تذكر المصادر- في النِّصف الثاني من القرن الأوَّل الميلادي، على أنقاض دعوة المسيح عليه السَّلام وبعد رفعه، والتي غُيِّر اسمها من النصرانيَّة إلى المسيحيَّة[2]، وهذه النحلة المُستحدثة على حساب تلك الدِّيانة ظاهرة تاريخيَّة لفتت أنظار العديد من الباحثين، الذين كانت لهم آراؤهم وتقريراتهم في ذلك، وسأعرض بعضها للاستشهاد بها في الموضوع.

جاء في دائرة المعارف البريطانيَّة: «لم يعمل أحد من أتباع يسوع أكثر ممَّا عمله بولس في تأسيس نماذج الأفكار والمُمارسات المسيحيَّة»[3]، وجاء

---

(1) الحنفي، **موسوعة الفلسفة والفلاسفة**، ج1، ص343.

(2) لكون عيسى عليه السَّلام نبيّاً من أنبياء اللَّه وله أتباع، فيلزم أنَّ القوم عُرِّفوا عند مُعاصريهم باسمهم، وإن عُدُّوا مذهباً في الدِّيانة اليهوديَّة أو مجدفين؛ فلعلَّهم سموا نصارى أو عيسويين أو ناصريين أو جليليين، والباحث يُرجح التسمية الأولى لورود النَّص بها. ومن المعلوم أنَّ التسمية بالمسيحيين تسمية مُتأخِّرة أُطلقت عليهم في أنطاكيا. سفر أعمال الرسل 11: 26، جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص116.

(3) الدائرة البريطانية: Macro 13/ 1090. نقلاً عن: الأرو، عبد الرزاق بن عبد المجيد، **مصادر النصرانية، دراسة ونقداً**، (الرياض، السعودية: دار التوحيد للنشر، ط1، 1428هـ/ 2007م)، ج2، ص665.

فيها أيضاً: «لولا العمل المُكرَّس من هذا الرجل [بولس]... لكانت إمكانيَّة تَحوُّل الدِّيانة النصرانيَّة لتُصبح ديانة عالميَّة، أمراً قابلاً للنقاش»[1].

لعلَّ صِفَة العالميَّة اكتسبتها دعوة بولس لا نصرانيَّة عيسى عليه السَّلام، ما يؤيده تغاير الدَّعوتين واختلافهما في أُمور جوهريَّة، أوَّلها العقيدة؛ فهي التوحيد في الأُولى، والتثليث في الثانية، وهذا التغاير ظاهر لكُلّ مطَّلِع مُنصِف على أسفار كتاب القوم وحالهم، فما بالك بالدَّارس المُتخصِّص، ومُخالفات الرجل للنصرانيَّة معلومة من النُّصوص المنسوبة إليه في أسفار العَهْد الجديد، وسيأتي بيانها.

يقول (مايكل هارت)[2]: «القدِّيس بولس كان المُنشئ الرئيس للَّاهوت المسيحي»[3]، ويقول باحث مسيحي آخر[4]: «إنَّ بولس هو الذي وضع أساس الدِّين الذي يُسمَّى بالدِّين المسيحي، الدِّين الذي ولد طفلاً عِملاقاً مُتكاملاً في مَجْمع نيقية سنة 325م بأمر الإمبراطور قسطنطين[5].

(1) الدائرة البريطانيَّة 17/ 387. نقلاً عن: الأرو، **مصادر النصرانية، دراسة ونقداً**، ج2، ص676.

(2) هو Hart. H Michael: فيزيائي فلكي أميركي، من مواليد 28 أبريل 1932م بمدينة نيويورك، صاحب كتاب: الخالدون مائة، وقد جعل رسولنا صلى الله عليه وسلم، أولهم، ومنهم موسى وعيسى عليهما السَّلام، وبولس. شبكة المعلومات الدوليَّة. ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة.

(3) «Hart Michael, «The 100، ص3 نقلاً عن: الأرو، **مصادر النصرانية، دراسة ونقداً**، ج2، ص565. ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص249.

(4) هو: آرثر فندلاي، في كتابه: **الكون المنثور** 117 نقلاً عن: شلبي، رؤوف، **يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء**، (القاهرة، مصر: دار ثابت، (1410هـ/ 1989م)، ص183.

(5) هو: إمبراطور روماني (27 فبراير 272م/ 22 مايو 337م)، أُعجب به أغلب قادة الكنيسة، قام بدور عظيم في الكنيسة الأُولى، مع أنَّه عُمد في السَّنة الأخيرة من حياته، دعا إلى أوَّل مجمع مسكوني في نيقية، وأصدر مرسوم ميلانو الذي رفع فيه العُقوبات عن المسيحيين، ومنع بناء المعابد الوثنيَّة. الموسوعة المُيسَّرة في الأديان والمذاهب المُعاصرة. الندوة العالميَّة للشباب الإسلامي، الرياض-السعودية، ط2، د.ت، ص1380، شبكة المعلومات الدوليَّة، ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة: قسطنطين الكبير.

يتَّفق الباحث مع ما طُرح في النَّص المُتقدِّم؛ والذي مفاده تأسيس بولس للدِّين المسيحي، وهذا الأمر مُثير للعجب! فقد سلب دور نبي اللَّه عيسى عليه السَّلام، إلَّا أنَّه يُمكن فَهْم القضيَّة على الوجه الآتي: الدِّين الذي بعث اللَّه به المسيح عليه السَّلام هو النصرانيَّة، والدعوة التي نَهَض بها بولس هي المسيحيَّة، وهي تُخالف النصرانيَّة، ولا رابط بينهما إلَّا الادِّعاء وبعض المُشتركات العامَّة.

وصف الباحث (آرثر) مولود مجمع نيقية بالطفل العِملاق المُتكامل فيه مُصادمة للعقل ومُخالفة للواقع؛ وذلك أنَّ الأطفال لا يولدون مُتكاملين؛ وهذا أمر محسوس قبل أنْ يكون معقولاً، ولعلَّه يقصد كاملاً، ومُخالفته للواقع أنَّ هذا الدِّين لا زال يُعاني من النَّقص، ودليل نَقْصه تعدُّد مجامع القوم وقراراتهم التي تبت في مسائله الجوهريَّة، وأُولاها عقيدة التثليث، التي عقد لها القوم أكثر من مَجْمع لتقريرها، وما يُعرف عندهم بقانون الإيمان النيقاوي[1]، والإضافات التي أُلحقت به شاهد على ذلك.

الباحث فوكس جاكسون[2]، «لو لم يكن بولس لكانت المسيحيَّة غير المسيحيَّة، ولو لم يكن يسوع لما كانت المسيحيَّة»[3]، ويُقرِّر شارل جنيبير[4]، «بدون بولس كان من المُحتمل أنْ لا توجد المسيحيَّة»[5]!

المخالفة الأُولى: عقيدة الحلول والتجسُّد:

جاء في رسالة بولس إلى أهل فيلبي ما نصه: «فليكن فيكم الفكر الذي

(1) نوفل، أفندي نوفل، **سوسنة سليمان في العقائد والأديان** (طبع في بيروت، 1876م)، ص137.

(2) هو: «Jackson Foakes»، صاحب كتاب: حياة بولس، طبع في لندن عام 1933م.

(3) Jackson, Foakes, The life of Paul, p.18 نقلاً عن: الأرو، **مصادر النصرانية، دراسة ونقداً**، ج2، ص665.

(4) هو: فرنسي كاثوليكي، أُستاذ المسيحيَّة في جامعة باريس، توفِّي بعد الحرب العالميَّة الثانية. جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص5-6.

(5) جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص141.

في المسيح يسوع أيضاً: الذي إذ كان في صُورة اللَّه، لم يحسب خُلسةً أنْ يكون مُعادلاً للَّه. لكنه أخلى نفسه، آخذاً صورة عبدٍ، صائرًا في شبه الناس. وإذ وُجِدَ في الهيئة بوصْفه إنسانًا وَضَع نفسه، وأطاع حتى الموتَ، موت الصَّليب. لذلك رفعه اللَّه أيضاً، وأعطاه اسماً فوق كُلّ اسم، لكي تجثو باسم يسوع كُلُّ رُكبة ممَّن على الأرض، وتحت الأرض، ويعترف كُلّ لِسان أنَّ يسوع المسيح هو ربٌّ، لمجد اللَّه الآب»[1].

من باب الإنصاف وحُسن الظنّ بالرَّجل، وحَمل النَّص على وجه مُحتمل، فالرَّب لفظ يُمكن أنْ توصف به ذوات غير الذَّات العليَّة، ومنه في العربيَّة رب الأُسرة وربَّة البيت، والإشكال ليس فيما يُفهم، ولا في توجيه النَّص، وإنَّما في فَهْم القوم لِمثل هذه النُّصوص، ويجدر التنويه بأمرين، الأول: أنَّ الباحث اطَّلع على إظهار آخر للنَّص جاء فيه: «لكي تنحني سُجوداً لاسم يسوع كُلّ ركبة»[2]، ولعلَّ معنى هذا النَّص يُبين تصوُّر القوم لما يعتقدونه في شخص المسيح عليه السَّلام، والثاني: تعدُّد النُّصوص واختلافها، مثل ما تقدَّم يؤكد تصرُّف القوم بها، ويُرجّح تقدُّم العقيدة لدى رجال الكنيسة عن النُّصوص المُقرَّرة لها.

وَوَرَد عنه في موضع آخر ما نصّه: «فكما قَبِلتم المسيح يسوع الرَّب اسلكوا فيه، ... فإنَّه فيه يَحِلُّ كلُّ مِلءِ اللَّاهوت جسديّاً»[3]، وجاء في نصّ آخر منسوب إليه، في معرض حديثه عن قومه بني إسرائيل، جاء قوله: «ولهم [أي: بنو إسرائيل] الآباء، ومنهم المسيح حَسَب الجسد، الكائن على الكُلِّ إلهاً مُباركاً إلى الأبد»[4]، وقد فهم القوم من هذه ومثلها حلول الإله الابن في جَسَد المسيح عليه السَّلام، بل كان حُلولاً للَّه بزعمهم في جَسَد عيسى، وهذا ما بيَّنه أحد

(1) الإصحاح 2: 5-11.
(2) رسالته إلى أهل فيلبي 2/ 10، **قراءة توضيحية في الإنجيل**، (الكنيسة الإنجيلية بقصر الدوابرة: القاهرة، مصر، 2009م)، ص293.
(3) رسالته إلى أهل كولوسي 6: 2، 9.
(4) رسالة بولس إلى أهل رومية 9: 5.، رسالته إلى تيموثاوس 3: 16.

مُفسِّريهم بقوله: «.. لا يوجد سرّ أعظم من هذا الإنسان، الذي ليس له روح اللَّه لا يستطيع أنْ يدرك هذا، لا يستطيع أنْ يتصوَّر أنَّ اللَّه ينزل ويصير إنساناً، يأكل ويشرب وينام مثلنا»[1]، سبحانه وتعالى عمَّا يصفون.

لعلّ وضوح دلالة النُّصوص على اعتقاد القوم بالحُلول والتجسُّد يُغني عن استنطاقها لتقرير هذا المفهوم، إلَّا أنَّه يجدر الذكر أنَّ هذه النُّصوص وما على شاكلتها، ومنها نُصوص إنجيل يوحنا في هذا الموضوع، أنَّها قد كُتبت حَسَب الطَّلب، أو تمَّ التصرُّف فيها من الكَتَبة من رجال الدِّين بما يوافق التغييرات التي طرأت لفهم القوم أُصول دينهم، وتغاير نُصوص أسفار القوم معلوم لكل مطَّلِع.

المخالفة الثانية: عقيدة الصَّلب والفداء:

لعل فكرة تكفير المسيح لخطايا البشر تظهر في العقيدة التي تُعبِّر عنها الرسائل المنسوبة إلى بولس، وسواء أكانت هذه الفكرة تعبيراً أميناً عمَّا كان يعتقده بولس في شخص المسيح بِصِفته الرب «الفادي»[2]، أم هي من إنتاج كَنَسيِّين آخرين اشترك معهم بولس في تقريرها والدَّعوة إليها، أم هي عقيدةٌ مدسوسةٌ على الرجل بقصد رواجها، فهذا الأمر على أهمِّيته يتقدَّم عليه في الأهمِّية أمر آخر، وهو اعتقاد المسيحيين في عصرنا الحاضر بمُقتضى نظريَّة الصلب والفداء التي ابتدعها بولس بِحَسب نُصوص رسائله[3].

وتظهر فكرة الموت التكفيري في الأسفار المنسوبة إلى الرجل، وأصبحت عقيدةً راسخةً عند القوم لا تقبل الجَدَل، فقد ورد في الإنجيل الذي بشَّر به[4]، ما نصّه: «وأُعرِّفكم أيها الأخوة بالإنجيل الذي بشَّرتكم به،

(1) تفسير رسالة بولس إلى تيموثاوس، ناشد حنا، ص61. نقلاً عن: الأرو، **مصادر النصرانية، دراسة ونقداً**، ج2، ص674.

(2) لوقا 1: 68. التنير، محمد طاهر **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، (لبنان-بيروت، 1330هـ/ 1912م)، ص50.

(3) عبد الوهاب، أحمد. **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**، ص274.

(4) المُراد الرسائل المنسوبة إليه وهي أربع عشر رسالة، ولم تذكر المصادر عداها إنجيلاً أو سفراً، ولعلَّه يقصد البشارة.

وقبلتموه، وتقومون فيه، وبه -أيضاً- تخلُصون، إنْ كنتم قد تذكُرون أيَّ كلام بَشَّرتكم به. إلَّا إذا كنتم قد آمَنتُم عبثاً! فإنَّني سلَّمت إليكم في الأوَّل ما قبلته أنا أيضاً: أنَّ المسيح مات من أجل خطايانا حَسَبَ[1]، الكتب[2].

ويتقدَّم هذا النَّص في السِّفر نفسه تأكيداً من بولس على محورية حادثة الصَّلب، وكَوْنها رمزاً يحمل دلالات عميقة حَسَب فَهْمه، الذي يستمدّه -حَسَب دعواه- من الرُّوح القُدس، فقد ورد منسوباً إليه ما نصّه: «وأنا لَمّا أتيتُ إليكم أيَّها الأُخوة، أتيت ليس بسموِّ الكلام أو الحِكمة مُنادياً لكم بشهادة اللَّه، لأنِّي لم أعزم أنْ أعرِفَ شيئًا بينكم إلَّا يسوع المسيح وإيّاه مصلوباً»[3].

وقد وَرَد ما نصّه: «نعمةٌ لكم وسلامٌ من اللَّه الآب، ومن ربِّنا يسوع المسيح، الذي بذل نفسه من أجل خطايانا، لينقذنا من العالم الحاضر الشرِّير حَسَب إرادة الله وأبينا»[4]، وهذا النَّص في رأيي يُمكن فَهْمه على غير الوجه الذي فَهِمه القوم؛ إذ إنَّ وَصْف الربوبيَّة لا تعني الأُلوهيَّة بالضَّرورة، إلَّا أنَّ تصوُّر القوم أو اعتقادهم أُلوهية المسيح يُمكن فهمه من بعض النُّصوص الواردة في أسفارهم.

المخالفة الثَّالثة: عقيدة التثليث[5]

وإنْ كان القوم توصَّلوا إلى تقرير عقيدة التثليث في مجامعهم الكَنَسيَّة[6]،

(1) لعلَّها (حَسْبُ).
(2) رسالته الأُولى إلى أهل كورنثوس 15: 1-3.
(3) المصدر السابق 1: 1-2.
(4) رسالته إلى أهل غلاطية 1: 3، 4.
(5) يعتقد المسيحيون أنَّ للَّه ثلاثة أقانيم «هي: شخص الآب، وهو الخالق لكُلّ شيء والمالك والضابط للكُلّ، وشخص ابنه، المولود منه أزلاً المُساوي لأبيه في الأُلوهية والرُّبوبيَّة لأنَّه منه، وشخص الروح القُدس» مع تعدُّد مذاهبهم في تفصيل هذه العقيدة، والأقنوم لفظة يونانية تُعبّر عن الكيان. باول، ينوك، **تطور الإنجيل**، ت: أحمد أيبش، (لبنان-بيروت: دار قتيبة، ط1، 1424هـ/ 2003م)، ص28، لوكير، هربرت، **كل تعاليم الكتاب المقدس**، ت: إدوارد عبد المسيح، (القاهرة، مصر: دار الثقافة، ط1، 2009م)، ص215 وما بعدها.
(6) قرَّر مجمع نيقة أُلوهيَّة المسيح سنة 325م، وقرَّر المَجْمع القسطنطيني الأوَّل أُلوهيَّة الروح =

في زمن مُتأخِّر عن عَصْر بولس، إلَّا أنَّه يُمكن التعرُّف على الأُسس الأُولى لهذه العقيدة في كتابات بولس؛ ومنها ما نصه: «نعمة ربِّنا يسوع المسيح، ومحبة اللَّه، وشركة الروح القُدس مع جميعكم»[1].

وممَّا يَجْدر تأكيده أنَّ عقيدة التثليث لم يرد التصريح بها في رسائل بولس، إلَّا أنَّها تُفهم ضِمناً بِحَسب ما نسب بولس لكُلّ شخص من شخوص التثليث، ومنه قوله وهو يُخاطب أهل رومية: «وأمَّا أنتم فلستم في الجَسَد بل في الروح إنْ كان روح اللَّه ساكناً فيكم. ولكنْ إنْ كان أحد ليس له روح المسيح فذلك ليس له»[2]، وقد كتب يوسف العَلَم[3]، في شرح هذه الفقرة ما يلي: «وفي تسمية الروح القُدس تارَة بروح اللَّه وتارَة بروح المسيح مع كَوْنه روحاً واحداً لنا بيِّنة قاطعة في إثبات لاهوت المسيح وانبثاق الرُّوح القُدس منه انبثاقه من الآب كما قال القديس إمبروسيوس[4]، في كتاب 3 فصل 9 في الرُّوح القُدس»[5].

كما يُمكن التعرُّف على مَضْمون هذه العقيدة من الأسفار المنسوبة لبولس، ومنها النُّصوص الواردة تحت العُنوانين السابقين، وهذه المضامين ومثلها التي تتعارض مع ظواهر بعض النُّصوص في العَهْدين، وَرَدَ في سِفْر التثنية: «إنَّكَ قد أُريتَ لتعلَمَ أنَّ الرَّبَّ هو الإلهُ ليس آخَرَ

= القُدس سنة 381م، هيل، جوناثان، **تاريخ الفكر المسيحي**، ت: سليم إسكندر ومايكل رأفت (القاهرة، مصر: مكتبة دار الكلمة، 2012م)، ص64-65، 74.

(1) رسالته إلى أهل كورنثوس 13: 14.

(2) رسالته إلى أهل رومية 8: 9.

(3) هو الخوري يوسف العلم الماروني، أحد الكهنة المُرسلين اللُّبنانيين، مؤلف كتاب: تيسير الوسائل في تفسير الرسائل، طبع في بيروت سنة 1978م. ملكاوي، محمد أحمد، **اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية**، (الرياض، السعودية: دار الإسراء للنشر والتوزيع، ط1، 1412هـ/ 1992م)، ص8.

(4) هو: لاهوتي، ولد حوالى 340م، وتولَّى أُسقفية ميلانو، له كتابان: في التثليث والروح القدس. شبكة المعلومات الدوليَّة: - takla.org

(5) تيسير الوسائل في تفسير الرسائل، ص56. نقلاً عن: ملكاوي، **اليهودي شاول بولس الطرسوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية**، ص113-114.

سِواهُ»[1]، ومنها ما أورده القوم منسوباً لربِّهم المسيح؛ جاء في الإنجيل المنسوب إلى مرقس: «فجاءَ واحدٌ من الكَتَبة وسمِعهم يتحاورون، فلَمّا رأى أنَّه أجابهم حَسَنًا، سأله: «أيَّةُ وصيَّة هي أوَّلُ الكُلِّ؟». فأجابه يسوع: «إنَّ أوَّل كُلّ الوصايا هي: اسمع يا إسرائيل. الرب إلهنا ربٌّ واحد»[2]، وفي هذا تذكر كثير من المصادر[3]، شيوع عقيدة التثليث في ديانات الشرق القديمة؛ ومنها الهندوسيَّة وديانات بلاد الرافدين ووادي النيل، وهذا يُرجِّح تأثر بولس في تقريره لعقيدة التثليث بتلك الأديان التي كانت سائدة في الأوساط التي نشأ بها وبشَّر فيها، كما أنَّ فِكْرة التثليث من تقريرات الفلسفة الأفلوطينيَّة المُحدثة[4]، والتي كان لها مُعتنقوها في شرق حَوْض البحر الأبيض المُتوسِّط، ولعلَّ هذا يُبيِّن مصدر هذه العقيدة المُستجدَّة في اللَّاهوت المسيحي الذي كتبه بولس، في عَصْر غلب عليه المُواءمة والتوفيق[5]، بين الأديان والعقائد والأفكار السائدة.

المخالفة الرَّابعة: اعتقاد بولس أنَّ العَهْد الجديد ناسخ للعهد القديم

وقد ترتَّب عن هذا إلغاء شريعة موسى عليه السَّلام، ومن أقوال الرجل المُعبِّرة عن هذا الاعتقاد والداعية إليه قوله: «وأمَّا الآن فقد تحرَّرنا من الناموس؛ إذ مات الذي كنّا مُمسَكين فيه، حتَّى نعبد بِجِدَّةِ الرّوحِ لا بعتقِ

(1) الإصحاح 4: 35.
(2) الإصحاح 12: 28-29.
(3) ومنها على سبيل المِثال: خُرافات التوراة والإنجيل وما يُماثلها في الدِّيانات الأخيرة - داون 366. وخرافات المصريين الوثنيين - برتشرد 285. والآثار الهندية القديمة - موريس 30. التنير، **العقائد الوثنية في الديانة النصرانية**، ص30-31.
(4) «يُمكن تعريفها بأنَّها فلسفة دينيَّة، أو دين مُفلسف، ذهب إلى احتواء المُعتقدات السائدة، والأساطير والطقوس وعِبادات الشرق». الحنفي، **موسوعة الفلسفة والفلاسفة**، ج1، ص163، خالد، غسان. **أفلوطِين رائد الوحدانية**. (بيروت، لبنان: منشورات عويدات، ط1)، ص95 وما بعدها.
(5) وهو ما عُرِف بتيارات التأليف Syncretisme. جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص78-80.

الحَرفِ»[1]، وكذلك قوله: «إذ نعلم أنَّ الإنسان لا يتَبَّرر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح»[2].

يُلاحظ فيما تقدَّم أنَّ بولس يُعمل فكره للبتِّ في قضايا جوهريَّة في اللَّاهوت المسيحي، ومن المعلوم أنَّ قضايا العقيدة في الأديان الإلهيَّة دور العقل فيها التلقِّي والفَهم فَحَسب، وهو ما تجاوزه بولس بتقريره لمُعتقدات يُناقض فيها نفسه قبل أنْ يرد نُصوصًا منسوبة إلى مَن أضفى عليه هو صِفة الأُلوهيَّة، وهو المسيح عيسى عليه السَّلام، وهذا الأمر مُثير للعجب بل للاستغراب؛ إذ كيف صَحّ في تصوُّره ما تقدَّم؟ أي: مُخالفة إلهه، فقد وَرَد في العَهْد الجديد تعاليم للمسيح عليه السَّلام منها ما نصّه: «لا تظنُّوا أنِّي جئت لأنقُضَ النَّاموس أو الأنبياء. ما جئت لأنقض بل لأكمِّل. فإنَّي الحقّ أقول لكم إلى أنْ تزول السَّماء والأرض لا يزول حَرف واحد أو نُقطة واحدة من النَّاموس حتى يكون الكُلُّ»[3]، وَوَرَد أيضاً: «ولكن زوال السَّماء والأرض أيسر من أنْ تسقط نقطة واحدة من النَّاموس»[4].

ولعلَّ تفسير هذا الأمر تصوُّر بولس أنْ لا أحد يفهم تعاليم المسيح على حقيقتها عَدَاه، ولهذا لا يلتفت إلى تلك النُّصوص التي لا تتَّفق مع فَهمه وتنظيراته، بل يجتهد في تأويلها ويهملها أحياناً.

ويُلاحظ أنَّ رؤية بولس تميل إلى الغُنوصيَّة[5]، والهرمسيَّة[6]، والتنظير الصُّوفي، وهو يبخس قدر العمل الصَّالح، ولا يعدّه داخلاً في حقيقة الإيمان ولا ثمرة له، وهو ما لا يختلف عاقلان على ضرورته لعمارة الكَوْن، ويتَّفق المؤمنون جميعاً على أنَّه وسيلة للفوز بمرضاة اللَّه وخير الدنيا ونعيم الآخرة، ولعلَّ موقفه

(1) رسالته إلى أهل رومية 7: 6.
(2) رسالته إلى أهل غلاطية 2: 16.
(3) إنجيل متى 5: 17-18.
(4) إنجيل لوقا 16: 17.
(5) عبد الوهاب، **المسيح في مصادر العقائد المسيحية**، ص27.
(6) ص20.

هذا يُمكن فَهْمه أنَّه ردة فعل مُتطرِّفة لتمسُّك قومه الحَرفي بالنُّصوص، وإهمالهم لمقاصد الشريعة وروحها، إلَّا أنَّ هذا إفراط يهدم الدِّين، الذي يقوم على صِحَّة الاعتقاد وصلاح العمل وإخلاص القَصْد، وَفْق منهج وسطي لا إفراط فيه ولا تفريط.

وقد ترتَّب على قول بولس بنسخ شريعة العَهْد القديم إبطال عدد من تشريعاته، منها الختان،[1]، فقد وَرَد قوله: «ها أنا بولس أقول لكُم: إنَّه إنِ اختتنتم لا ينفعكم المسيح شيئاً»[2]، وكذلك أبطل الرَّاحة في يوم السَّبت، وهو اليوم الذي يُقدِّسه اليهود والمسيحيون الأوَّلون[3]، وفي هذا وَرَد قوله: «فلا يحكم عليكم أحد في أكل أو شرب، أو من جِهة عيد أو هلال أو سبت»[4].

ولعلَّ من أعجب بدع الرجل ادِّعاءه حِلِّية عُموم المطعومات، وله فلسفة خاصَّةً في هذا، وهي أنَّ الأطعمة جميعاً طاهرةً يحل أكلها إلَّا من اعتقد نجاسة بعضها، فهي نَجسة بالنِّسبة له هو فقط، وهذا ما يُفهم من قوله: «كُلّ الأشياء تحلُّ لي» لكن ليس كُلّ الأشياء توافق. كُلّ الأشياء تحل لي لكن لا يتسلَّط عليَّ شيء، الأطعمة للجَوْف والجَوْف للأطعمة، واللَّه سيبيد هذا وتلك»[5]، ويقول أيضاً: «إنّي عالم ومتيقِّن في الرب يسوع أنْ ليس شيءٌ نجساً بذاته، إلَّا مَن يحسب شيئاً نجساً، فله هو نجسٌ»[6].

ما تقدَّم لبولس يُخالف نصّاً صريحاً للعهد القديم على تحريم الخِنزير، وهو: «والخِنزير، لأنَّه يشقّ ظِلفاً ويقسمه ظلفين، لكنه لا يجترُّ، فهو نجس لكم. من لحمها لا تأكلوا وجُثثها لا تلمسوا. إنَّها نجسةٌ لكم»[7].

(1) سِفْر التكوين 17: 9-14، إنجيل لوقا 21: 2، 22. يحوي النَّص وصفاً لطقس ختان المسيح عليه السلام.
(2) رسالته إلى أهل غلاطية 2: 5، ويُنظر كذلك: 6: 5.
(3) سِفْر الخُروج 23: 16، عبد الملك، **قاموس الكتاب المقدس**، ص454.
(4) رسالته إلى أهل كولوسِّي 16: 2.
(5) رسالته الأولى إلى أهل كورنثوس 12: 6-13.
(6) رسالته إلى أهل رومية 14: 14.
(7) سفر اللاويين 7: 11، 8.

وقد حَاول بولس الخُروج من الإشكاليَّة التي أوقع نفسه فيها بمُعارضته لنُصوص العَهْد القديم، بِدَعْوى نسخ العهد الجديد -الذي شكَّلت رسائل بولس نحو ثلثه وحَجَر الزَّاوية فيه- للعهد القديم،[1]، إلَّا أنَّ هذا أوقعه في إشكاليَّة أكثر تعقيداً، وهي مُصادمته لنُصوص منسوبة للمسيح عليه السَّلام تنفي هذا النَّسخ المزعوم، فكيف اجتمع في تصوُّر الرجل الأمر ونقيضه، فهو يؤلِّه المسيح ويرد عليه تعاليمه في آنٍ واحد؟!.

وبناءً على ما تقدَّم فإنَّ نشاط بولس التبشيري ترتَّب عليه في نِهاية المطاف الفصل بين الديانتين اليهوديَّة والمسيحيَّة، وقد نحا بولس بدعوته مَنْحى عامّاً؛ إذ توجَّه بها إلى الأُمم والشُّعوب التي كان يتعايش معها بنو إسرائيل، الذين كانوا يرون في اليهوديَّة ديانتهم القوميَّة إلَّا أنَّهم يقبلون مَن يودّ الانضمام إليهم، وعلى هذا النَّهج سار النَّصارى الأوائل، وفي هذا ينسبون إلى المسيح عليه السَّلام: «لم أُرسل إلَّا إلى خِراف بيت إسرائيل الضَّالة»[2].

وأرى أنَّ بولس قاد التيار الاستقلالي داخل النصرانيَّة، وقد حقَّق مُبتغاه بفصل المسيحيَّة عن اليهوديَّة، وقد «تمَّ الانفصال الفعلي بين الكنيسة والمَعْبد، وأصبح أتباع عيسى يتحدَّثون عن اليهود بعِبارات لا شكّ في أنَّها كانت غريبة كُلّ الغرابة عن تعاليم أُستاذهم، ولن يلبث هؤلاء الأتباع أنْ يرفضوا الاعتراف لليهود بأي إدراك للحقّ وبأي فهم للشريعة الموسوية نفسها»[3].

وبغضِّ النَّظر عن التقييم الأخلاقي أو الدِّيني لشخصيَّة بولس ودورها، يتأتَّى للمُنصف أن يكوِّن تصوُّرًا يُسجل للرجل، فهو يتمتَّع بعبقريَّة فذة وقدرة على الخَطابة والإقناع، كما أنَّ الرجل ميكافيلي[4]، النزعة، وقد اتَّصف

(1) جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص133.
(2) إنجيل متى 24: 15.
(3) جنيبير، شارل. **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص147.
(4) أي: الغاية تُبرِّر الوسيلة، وهو مفهوم أعاد صِياغته المُفكِّر الإيطالي نقولا مكيافيلي (1469م-1527م)، بقوله: «ما هو مُفيد فهو ضروري» طرح ذلك في أشهر كتبه **كتاب** =

بالمُثابرة والجدِّية في عمله التبشيري، غير أنَّه يجب عدم إغفال العوامل التي ساعدته على نَشْر دعوته؛ ومنها البيئة الثقافيَّة والدِّينيَّة السائدة آنذاك، التي نشطت فيها الحركات التأليفيَّة بين أديان وثقافات شُعوب الإمبراطوريَّة الرومانيَّة[1]، وكذلك وجود نُزوع قوي لَدَى بعض رجال الكنيسة للاستقلال عن الكهنوت اليهودي المُتزمِّت، وأوَّلهم رجال كنيسة أنطاكيا[2].

وفي هذا يقول شارل جنيبير: «من المُبالغ فيه القول بأنَّه هو المؤسس [يقصد بولس] الحقيقي للمسيحيَّة. أمَّا المؤسِّسون الحقيقيون للمسيحيَّة، فهم هؤلاء الرجال الذين أقاموا كنيسة أنطاكيا؛ وإنَّنا لا نكاد نلمح أسماءهم، وقد طَواها النِّسيان... إنَّه لم يؤسس المسيحيَّة إذا عرفناها بأنَّها تطويع فكرة الانتصار ومَمْلكة اللَّه اليهودية لفكرة الخلاص الهيلينيَّة. ولكن، بدون بولس، كان من المُحتمل أنْ لا توجد المسيحيَّة»[3].

«ومع هذا كُلّه بقي الرجل الذي فَصَل المسيحيَّة عن اليهوديَّة من حيث الجَوْهر والأساس يهوديّاً في قُوَّة خلقه، وصَرامة مبادئه»[4]، وهذا يؤيده رينان[5]، بقوله: «إنَّ بولس لم يغيِّر سِوى موضوع تعصُّبه»[6].

وقد ترتَّب عمَّا تقدَّم التحوُّل بالدِّيانة النصرانيَّة من دين قومي لبني إسرائيل مِثله مِثل اليهوديَّة، إلى دين أُممي ودعوة عامَّة لكُلّ النَّاس، وهو ما

= الأمير وهي صُورة مُبكرة للنفعيَّة والواقعيَّة السياسيَّة. شبكة المعلومات الدوليَّة: ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة.

(1) جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص138.

(2) المرجع نفسه، ص141.

(3) المرجع السابق، الصفحة نفسها.

(4) ديورانت، **قصة الحضارة**، ج11، ص269-270، جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص127.

(5) هو: إرنست رينو (1823م-1892م)، مؤرخ فرنسي اشتهر بترجمته ليسوع، التي دعا فيها إلى نقد المصادر الدِّينيَّة نقداً عِلْميّاً. شبكة المعلومات الدوليَّة: ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة.

(6) في كتاب «الحَواريون»، ص183. نقلاً عن: جنيبير، **المسيحية نشأتها وتطورها**، ص127.

يُعبر عنه في عصرنا الحاضر بِصِفة العالميَّة؛ أي: أنَّ الدِّيانة المسيحيَّة أصبحت بفعل بولس ديانة عالميَّة، ولعلّ هذا كان الهدف الأسمى لبولس وقد تحقَّق، إلَّا أنَّه يُمكن القول إنَّ الرجل ربح العالم وخَسِر النصرانيَّة، وكُلّ ما تُمثِّله من سُموّ اعتقادي وأخلاقي بِصِفتها رسالة من رسالات اللَّه تعالى.

وقد كانت نِهاية حياته الحافلة نِهايةً مأساوية، فقد قُتل بولس في عصر نيرون[1]، الذي أوقع فيه الاضطهاد بالمسيحيين، وقد أُعدم بقطع رأسه في روما عاصمة الإمبراطوريَّة الرومانية آنذاك،[2]، وذلك سنة 66 أو 67م[3].

الخاتمة:

أَخْلص ممَّا تقدَّم عَرْضه وتحليله ومُناقشته، إلى أنَّ لبولس أثرًا على دعوة عيسى عليه السَّلام، التي أصبحت بفعله الدِّيانة المسيحيَّة، وهذا الأثر يُمكن إجماله بِصِفته نتائج لهذا البحث في الآتي:

1 - أنَّ بولس الطرسوسي لم يُعاصر المسيح عيسى عليه السَّلام ولم يلتق به في حياته.

2 - أنَّ بولس لم يُعد ضِمن الرُّسل الذين اختارهم المسيح عليه السَّلام حسبما تذكر الأناجيل، وإنَّما ألحق بهم بعد فقد القوم لعيسى عليه السَّلام، والمصادر تسكت عن مَنْ قام بهذا الإلحاق، أو أنَّه ألحق نفسه بنفسه.

3 - ترك بولس أثراً قويّاً في الدَّعوة النصرانيَّة، التي دعا إليها عيسى عليه السَّلام، إلى درجة جعلت عدداً من المُختصِّين ينسبون الدِّيانة المسيحيَّة إليه.

---

(1) هو: إمبراطور روماني (15 ديسمبر 37م-9 يونيو68م)، هو خامس وآخر إمبراطور من السّلالة اليوليوكلوديَّة (من أغسطس حتى نيرون) (27ق م-68م)، وصل إلى العرش لأنَّه كان ابن كلوديوس بالتبنِّي، وحكم في الفترة: 54م-68م. شبكة المعلومات الدوليَّة: ويكيبيديا الموسوعة الحُرَّة.

(2) القيصري، يوسابيوس، **تاريخ الكنيسة**، ت: القمص مرقس داود، (مكتبة المحبة: القاهرة، مصر، 1999م)، ص98-99.

(3) عبد الملك، **قاموس الكتاب المقدس**، ص199، أبو زهرة، محمد. مرجع سابق، ص72. وافي، **الأسفار المقدسة في الأديان قبل الإسلام**.

4 - تصرُّف بولس في الدِّيانة النصرانيَّة كان له أثر عميق في النصرانيَّة، وطال رُكنين أساسين فيها، هُما:

الأول: رُكن العقيدة: وبالأخص عقيدة الأُلوهيَّة: تأليه المسيح عليه السلام، والعقائد التي قرَّرها الرجل في رسائله، ومنها القول بالحُلول والتجسُّد، والقول بالصَّلب والفِداء، والتلميح ضِمناً لعقيدة التثليث، كما أنَّه قال بنسخ العهد القديم بمجيء المسيح عيسى عليه السَّلام، إضافة إلى قوله: إن العمل لا يدخل في مفهوم الإيمان، ولا عَلاقة له بِخَلاص المؤمن حَسب زَعْمه.

الثاني: رُكن الشريعة: القول بِنَسخ شريعة موسى عليه السَّلام ما ترتَّب عنه نَسْخ أحكامها، وأظهرها عنده؛ إبطال وجوب الخِتان، وحُرمة يوم السبت، وحُرمة بعض الأطعمة، ومنها لَحْم الخِنزير.

وفي خِتام هذه الدِّراسة لَفَت نظري إشكاليَّة جوهريَّة في العقيدة المسيحيَّة، وهي إيمان المسيحيين بجميع العقائد التي قرَّرها بولس الطرسوسي في رسائله، ومنها عقيدة نَسْخ العَهْد الجديد للعَهْد القديم، مع الإيمان بنقيض بعضها فيما يتعلَّق باعتقادهم قُدسيَّة العَهْد القديم، وعَدَّهم له ضِمن أسفار الكتاب المُقدَّس عندهم، واستدلالهم بنُصوصه على كَوْن عيسى هو المسيح الذي بشر به فيه، وعلى هذا أسفار العَهْد القديم في عقيدتهم هي الأمر ونقيضه، فهي مَنْسوخة وغير مَنْسوخة في آنٍ واحد.